الخطاب السياسي المباشر)، بل تستعرض وضعاً لاانسانياً يعاني منه الطرفان المتنازعان، فلا فرق كبيراً بين الطرفين، كما نرى من خلال الحوار الذي يدور بين حلمي واوري:

« ـ حلمي ـ

« ـ نعم ؟

« ـ اتهموني انا أيضاً مرّة في جوّي بأني اتعاون معكم. شخص ما ضربني بسبب هذا.

« ـ انا ضربوني بعض المرات. الاولاد بالاساس. العنف ينتشر بسرعة عند المهزومين.

« ـ عندنا أيضاً.

« ـ انتم، أيضاً، مهزومون» (ص ١٣٩).

وبالطبع، فان المقارنة بين الاحتلال والذي يقع تحت الاحتلال واردة؛ لكن المساواة بينهما خطأ. فالطرف الذي يقع تحت الاحتلال هو الذي يعاني أكثر، مع ان الاحتلال ينتج تأثيراته على الطرفين، بفوارق معيّنة. واوري يمثل صدمة «اللقاء» مع الاحتلال، وما ينتج عنه خير تمثيل: « كيف استطيع المضي في العيش في تل ـ ابيب وكل الوقت اتذكر انه قريب مني جداً، وراء ستار دقيق مثل الجلد، يعيش مليون انسان يجبرون على رؤيتي حتى بأعين مغمضة. في احلامهم أيضاً وفي كذبهم، في بلادي التي بهـا هذيت، مثلمـا يقول حلمي» (ص ١٤٥). مجموع شخصيات الرواية تعيش الكذب القائم في المجتمع. وهي لا تجتهد كثيراً في محاربة هذا الكذب، الى درجة ان ما من شيء قِيَمي يبقى لشوش سوى كذبها. ان شبكة العلاقات الكاذبة هذه التي يتخبط فيها ابطال الرواية ـ التي تشكل توازناً للاحتلال الكاذب نفسه ـ تشكل لبّ العلاقة بين الشخصيات. فكاتسمان يدرك مدى اغترابه ومخاوفه من مشاعره، لكنه يجر اوري الى عالمه ويخونه مع زوجته؛ كما ان شوش، في الرواية، تكون سبباً في القضاء على الولد موردي الذي تعالجه، وهكذا دواليك.

هذه العلاقات التي تقوم على الكذب تبدأ بالانهيار، شيئاً فشيئاً: اوري يترك شوش ويريد محوها من ذاكرته، كما انه يهرب من السجن وينضم الى حلمي (الذي يعيش في هذيانه بعيداً من الناس دون ان يؤذي كذبه احداً). هكذا يأتي اوري الى حلمي ليتعلم منه كيف يحارب الكذب بالكذب. وتظهر، في هذا المقطع، حقيقة نفسية اوري التي تشوّهت جراء الكذب والخيانة وسقوط احلامه ومثالياته امام حقيقـة الاحتلال القاسية؛ وكاتسمان، من ناحية اخرى، يريد تخليص اوري (الجدي) من ايدي حلمي، ليستعيد توازنه في ظل الكذب الذي يعيش فيه.

تختلط حبكتـا الروايـة في البداية: حبكة اوري ـ حلمي ـ كاتسمان (وهي الحبكة الرئيسة)، والحبكة التي تقوم على اساس علاقة رومانسية ونفسية: اوري ـ كاتسمان ـ شوش. لكن لا يبقى، في النهـاية، سوى الحقيقة العارية: الواقع. وعلى الرغم من ظهور الواقع القاسي على حقيقته في حياة الشخصيات، الاّ ان الشخصيات نفسها لا تصل الى حقيقة «اناها» الخاص، بل تظل معلّقة في توازٍ مع هذا الواقع الذي يفسد كل شيء: انه واقع الفساد والتعفّن الذي يؤدي الى تفسخ العلاقات.

يتحوّل الاحتلال، في هذه الرواية، الى جزء فاعل ـ استعارة ـ في حياة هذه الشخصيات. انه يلونها، ويصبغها، ويغيّرها، ويتداخل في حياتها على نحو طبيعي. فلا يمكن الفصل بين الاحتلال وبين الاشخاص الذين يقومون بالاحتلال، او الذين يقعون تحت الاحتلال.